

صراع الجبارين ومعاناة الآخرين

اعتبرت رئيسة صندوق النقد الدولي في تصريح منذ أسبوعين ان معدل النمو الاقتصادي عالمياً سينخفض السنة المقبلة من 3.9% في المئة هذه السنة الى 3.7% في المئة، وأن التراجع سيكون في معدلات نمو البلدان النامية وبلدان الاتحاد الأوروبي.

يعد التراجع الى سياسات الرئيس الاميركي على مستوى العلاقات مع الدول انطلاقاً من حسابه لنتائج التعامل التجاري والاستثماري مع كل بلد. وهو يرى، كما سنبين في هذا المقال، أن أي عجز في حساب مبادلات الولايات المتحدة مع اي بلد ما هو إلا خسارة يجب تعويضها سواء بفرض رسوم على الاستيراد من الدول المعنية، أم بتحميلها نسبة أكبر من تكاليف الدفاع في مواجهة روسيا. واليوم أضاف ترامب الى روسيا الصين، لانه يعتقد ان نجاح الصين ارتبط باقتباس التكنولوجيا الاميركية واستقطابها استثمارات ضخمة من الولايات المتحدة، شرط ان تترافق مع تأمين تكنولوجيات صناعية أميركية لها.

القضية المهمة اليوم هي المواجهة بين الولايات المتحدة والصين على المستوى الاقتصادي كما بالنسبة الى السيطرة في المحيط الهادئ وبعض المناطق الحساسة ولو وجود القوات الاميركية في كوريا الجنوبية، وتايوان، واليابان. الامر المستغرب ان هذا الوضع لم يكن الشغل الشاغل للعالم حتى نهاية 2017، وكانت تلك السنة بداية علاقة حميمة بين الرئيس ترامب ورئيس وزراء الصين، وكان التحول في السنة الثانية من ولاية ترامب اي هذه السنة.

نفسية الرئيس الاميركي هي المدخل لفهم هذا الوضع الخطير الذي ينذر بأبعد من التراجع الاقتصادي والمالي عالمياً، ولعل تفهم نفسية دونالد ترامب من أفضل السبل لادراك أسباب ما نعانيه وامكانات تجاوز المرحلة بسلام واستعادة النمو.

استناداً الى المقال الرئيس لعدد مجلة "الايكونوميست" الصادر في تاريخ 20/10/2018، برزت مؤشرات المشكلة من تفاصيل البرنامج الذي يسميه الصينيون "صنع في الصين" منذ سنة 2025. فالصينيون يعتبرون انهم قادرون على تطوير كل وسائل الانتاج الالكتروني، سواء في تصنيع الصلب أو السيارات، أو منتجات التواصل والتسلية، أو الروبوتات، أو الادوية. وفيرأى نائب رئيس الولايات المتحدة، أن "هذه التوجهات مرتبطة باشتراء الصين على الشركات التي ترغب في دخلها تأمين معارف التقنيات المعتمدة، ومن دون هذا الالتزام تؤخر الاستثمارات الخارجية او ترفض". وهو يقول إن الصين تحصل على اسرار نجاح الاندفاع التجاري والاستثماري الاميركي. وربما كان على حق، فسوق الصين للإنتاج تتقدّم في صناعات حديثة كالهواتف المحمولة وما شاكلها على السوق الاميركية. وشركة "جنرال موتورز" تسوق في الصين سيارات "كاديلاك" أكثر مما تسوق في الولايات المتحدة الخ.

ان الغوص في التفاصيل يبعينا عن تفهم عمق قضية التخوف الاميركي وتوسيعه من خسارة قيادة العالم اقتصادياً وتقنياً، وهذا ما لا يتقبله الرئيس الاميركي.

و سنركز على نفسية ترامب وتوجهاته من مراجعة كتاب بوب وودورد وعنوانه بالإنكليزية "FEAR: TRUMP IN THE WHITE HOUSE" ، أي الخوف مع وجود ترامب في البيت الابيض. ومعلوم ان وودورد اشتهر منذ بداية السبعينات عندما كشف مع زميل صحافي فضيحة ووترغيت Water Gate التي أطاحت الرئيس ريتشارد نيكسون، الذي كان اول رئيس اميركي يفتح على الصين.

لقد انتهيت من قراءة كتاب وودورد الذي يقع في 362 صفحة ما عدا ملاحق تضيف 40 صفحة أو أكثر. ويمكن القول إن اجزاء الكتاب وضعها فريق من الصحافيين المخضرمين في اكتشاف ابعاد السياسات، ونتيجة عملهم براجعتها وودورد وهو ينجذب النص النهائي، الذي كتب بالأسلوب معقد، وفيه أحياناً اخطاء مطبعية. المهم ان الكتاب يظهر نفسية مقلقة لدى ترامب.

يقيس الرئيس الاميركي جميع سياساته استناداً الى النتائج المالية وهو يقوم علاقاته الدولية على أساس ربح الولايات المتحدة أو خسارتها نقدياً من العلاقات. وهو لا يكرس الوقت لدراسة الملفات التي أعدها وزراء معنيون في حكومته يعرضون افكاراً مختلفة ومخالفة لتوجهاته.

على سبيل المثال، غاري كوهن Gary Cohn الذي كان رئيساً لـأكبر مصرف للاستثمار في الولايات المتحدة والعالم والذي قبل ان يكون رئيس فريق تقديم المشورة الاقتصادية للرئيس، اختلف مع ترامب على فرض رسوم على مستوررات الصلب سواء من الصين وكوريا، أم من بلدان الاتحاد الأوروبي، ومعدل الضريبة التي فرضها على المستوررات من الصين 25 في المئة، ومن الدول الأخرى 10 في المئة.

بين فريق غاري كوهن، الذي كلف أعضاء من شركته الاشتراك في الدراسة، ان الرسوم على مستوررات الصلب تصبب الولايات المتحدة بضرر يفوق اضرار البلدان المصدرة. فالرسوم ستزيد تكاليف صناعة السيارات في الولايات المتحدة، الامر الذي ينعكس على المستهلكين ويؤدي الى انحسار فرص العمل في قطاع انتاج السيارات، ويدفع شركات انتاج السيارات الاميركية الى زيادة انتاجها في مصانعها في الخارج واحتصار انتاجها في الداخل. استمع ترامب الى التقرير واظهر بعض الضجر وأقر زيادة الضريبة على المستوررات.

يعتبر الرئيس ترامب دراسة علم الاقتصاد رفاهية غير مفيدة، ففي رأيه ان الاقتصاد يسير بـرجال الاعمال والصفقات بينهم، وان الديناميكيـة في الولايات المتحدة ترهن بـقوانين الضـرائب على الارباحـ، التي خفضـها بـبرنـامج غـاري كـوهـنـ، والتـروـيجـ الذـكـيـ والـجـذـابـ والـقـوـانـينـ التي تـسـحـعـ لـمـنـ أـفـلـاسـ باـسـتـعـادـةـ النـشـاطـ دـوـنـ مـعـوـقـاتـ قـضـائـيـةـ، وـهـذـاـ ماـ حـقـهـ تـرـامـبـ كـرـجـ أـعـمـالـ وـاجـهـ ستـةـ أـفـلـاسـ وـاستـعـادـ نـشـاطـهـ.

الـهمـ الـاـكـرـ لـترـامـبـ الحـفـاظـ عـلـىـ شـعـبـيـةـ تـمـكـنـهـ مـنـ الفـوزـ بـولـاـيةـ ثـانـيـةـ وـهـوـ لـهـذـاـ السـبـبـ، وـكـمـ بـيـنـ الـكـتـابـ، مـذـعـورـ مـنـ تـحـقـيقـاتـ مـوـلـرـ الـمـكـلـفـ اـسـتـكـشـافـ مـدـىـ توـرـطـ جـمـاعـةـ تـرـامـبـ (ـابـنـهـ، وـصـهـرـهـ، وـابـنـتـهـ) وـبعـضـ وزـرـائـهـ مـعـ الـرـوـسـ. وـلـهـذـاـ السـبـبـ عـيـنـ محـامـيـاـ شـهـيرـاـ اسمـهـ جـونـ دـاوـدـ John Dowdـ لـلـدـافـعـ عـنـهـ فـيـ مـواـجـهـةـ مـوـلـرـ، وـقـدـ اـشـرـطـ اـجـراـ شـهـيرـاـ مـئـةـ الفـ دـوـلـارـ مـنـ حـسـابـ تـرـامـبـ الـخـاصـ، وـالتـزـمـ الرـئـيـسـ ذـلـكـ.

ثلاثة من الأكفاء – غاري كوهن، جون داود، وريكس تيلرسون، الذي تولى وزارة الخارجية وتخلى عن رئاسة اكبر شركة نفطية في العالم هي شركة "إيسون موبيل"، والذي يقيم علاقات وثيقة مع الحكم السعودي ومع الرئيس الروسي بوتين - تخلى عن مسؤولياتهم طوعاً لأنهم لم يستطعوا التعامل المستمر مع دونالد ترامب وبنز عاته، وتصرفاته، ولعنه في مخاطبـهمـ، ولعلـ أـفـضـلـ تـعـبـيرـ عـنـ معـانـاةـ هـؤـلـاءـ بـرـزـ مـنـ كـلـامـ غـاريـ كـوهـنـ، فـقـدـ قـالـ حـرـفـياـ: "ـالـمـقـيـاسـ لـيـسـ مـاـ فـعـلـنـاهـ لـمـصـلـحةـ بـلـدـنـاـ، بـلـ مـاـ سـتـطـعـنـاـ اـنـقـاذـهـ بـتـأـخـيرـ أـوـ اـيـقـافـ تـرـامـبـ عـنـ تـنـفـيـذـ اـهـوـاهـ". أما داود، المحامي، فقد استقال وقال لـترـامـبـ: "ـاـنـيـ مـتـعـلـقـ بـكـ شخصـيـاـ لـكـنـ عـاجـزـ عـنـ الـعـلـمـ مـعـ لـانـكـ لـاـ تـحـبـ الـاسـتـمـاعـ عـلـىـ النـصـيـحةـ."

جـنـوحـ تـرـامـبـ بدـأـ يـتـقـيـدـ إـلـىـ حدـ ماـ. فـهـوـ وـاجـهـ اـمـتـاحـاـ عـسـيـراـ مـعـ كـنـداـ، اـذـ اـعـلـنـ نـيـةـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـاـنـسـحـابـ مـنـ اـنـقـاقـ التـجـارـةـ الـحـرـةـ مـعـ الـمـكـسيـكـ وـكـنـداـ. وـاعـتـبـرـ تـرـامـبـ اـنـتـاجـ شـرـكـاتـ اـمـيـرـكـيـةـ السـيـارـاتـ فـيـ الـمـكـسيـكـ وـمـنـ ثـمـ بـيـعـهـاـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ عـلـىـ اـعـلـىـ مـرـقـعـةـ. كـمـ اـعـتـبـرـ أـنـهـ يـنـبـغـيـ وـقـفـ اـخـضـاعـ مـسـتـورـرـاتـ كـنـداـ مـنـ مـنـتـجـاتـ الـحـلـيـبـ الـاـمـيـرـكـيـ لـضـرـائـبـ مـرـقـعـةـ، وـهـدـدـ الـبـلـدـيـنـ بـالـغـاءـ اـنـقـاقـ التـجـارـةـ الـحـرـةـ مـاـ لـمـ يـلـتـرـمـاـ شـرـوـطـهـ.

وـاجـهـ مـنـ الـمـكـسيـكـ مـوقـفاـ يـدـعـوـ اـلـىـ زـيـادـةـ الـضـرـائـبـ عـلـىـ الشـرـكـاتـ الـاـمـيـرـكـيـةـ الـمـنـتـجـةـ لـلـنـفـطـ وـالـتـيـ لـدـيـهاـ مـصـانـعـ تـكـرـيرـ فـيـ الـمـكـسيـكـ بـمـعـدـلاتـ مـرـقـعـةـ. وـالـرـدـ الحـاسـمـ جاءـ مـنـ كـنـداـ، حـيـثـ كـانـتـ المـفـاـوضـةـ وـرـسـمـةـ الـخـارـجـيـةـ الـكـنـدـيـةـ، وـهـيـ سـيـدةـ كـانـتـ رـئـيـسـةـ مـكـتبـ جـرـيـدةـ "ـالـفـاـيـنـشـالـ تـايـمـسـ"ـ فـيـ مـوـسـكـوـ، وـأـلـفـتـ كـتاـبـاـ مـنـ أـفـضـلـ الـكـتـبـ عـنـ عـصـبـةـ يـلـتـسـينـ وـابـنـتـهـ وـعـدـدـ مـنـ الـمـسـتـغـلـيـنـ الـأـلـيـغـارـشـيـنـ عـنـاـنـهـ "ـسـرـقةـ الـعـصـرـ". وـقـدـ وـاجـهـتـ مـفـاـوضـيـ تـرـامـبـ وـقـالـ لـهـمـ: "ـيـمـكـنـ خـفـضـ مـعـدـلـ الـضـرـيبـةـ عـلـىـ مـسـتـورـرـاتـناـ مـنـ مـنـتـجـاتـ الـحـلـيـبـ، وـرـبـماـ خـسـرـنـاـ مـئـةـ مـلـيـونـ دـوـلـارـ مـنـ الدـخـلـ، اـنـمـاـ نـحـنـ لـنـ نـوـفـرـ الـكـهـرـبـاءـ لـلـوـلـاـيـاتـ الـاـمـيـرـكـيـةـ الـوـاقـعـةـ فـيـ الـشـمـالـ الـشـرـقـيـ وـالـتـيـ تـنـغـذـيـ مـنـ اـنـتـاجـنـاـ الـكـهـرـبـاءـ وـمـائـيـ مـقـابـلـ تـكـالـيفـ مـخـفـوضـةـ وـرـسـومـ مـقـبـولـةـ، وـتـالـيـاـ عـلـيـكـمـ الـبـحـثـ عـنـ وـسـائـلـ تـعـوـيـضـ صـادـرـاتـناـ. وـبـاـنـ هـذـاـ الـاـمـرـ يـسـتـغـرـقـ سـنـوـاتـ لـاـنـجـازـ مـعـاـلـمـ لـتـولـيـدـ الـكـهـرـبـاءـ وـاـسـتـثـمـارـاتـ تـفـوقـ 20ـ مـلـيـارـ دـوـلـارـ، اـنـكـفـاـ تـرـامـبـ عـنـ مـطـالـبـهـ، وـاعـدـ الـعـلـمـ بـاـنـقـاقـ التـجـارـةـ الـحـرـةـ بـيـنـ الـبـلـدـاـنـ الـثـلـاثـةـ مـنـذـ اـسـابـعـ مـعـ تـعـدـيلـاتـ بـسـيـطـةـ.

الـخـلاـصـةـ اـنـ الـعـالـمـ سـيـعـاـيشـ التـسـابـقـ الـاـقـتـصـاديـ وـالـسـيـاسـيـ بـيـنـ الـصـينـ وـالـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ، وـبـيـدـوـ انـ حـظـ الـصـينـ فـيـ اـحـتـلـالـ مـوـقـعـ الـدـوـلـةـ الـاـهـمـ اوـفـرـ مـنـ حـظـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ. فـلـدـالـصـينـ 4.5ـ مـلـيـينـ عـالـمـ وـعـالـمـةـ فـيـ تـطـيـقـاتـ بـرـامـجـ بـرـامـجـ الـمـعـلـوـمـاتـيـةـ، مـقـابـلـ مـلـيـونـينـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ وـمـنـ هـؤـلـاءـ نـسـبـةـ النـصـفـ مـنـ ذـوـيـ جـنـسـيـاتـ مـخـلـفـةـ بـيـنـهـمـ 500ـ الفـ صـينـيـ، وـقـدـ باـشـرـ هـؤـلـاءـ اـقـتـناـصـ فـرـصـ الـعـلـمـ فـيـ الـصـينـ، وـبعـضـ رـجـالـ الـاـعـمـالـ الـبـارـزـينـ فـيـ الـصـينـ فـيـ الـمـجـالـاتـ الـجـدـيـدةـ اـنـجـزـواـ درـاسـاتـهـمـ محلـيـاـ، وـمـنـ هـؤـلـاءـ مـؤـسـسـ شـرـكـةـ AliBabaـ الـبـالـغـ مـنـ الـعـمـرـ 40ـ عـاـمـاـ، وـالـذـيـ باـعـ اـسـهـمـهـ فـيـ شـرـكـتـهـ بـ40ـ مـلـيـارـ دـوـلـارـ. كـمـ اـنـ هـنـالـكـ 350ـ الفـ صـينـيـ يـدـرـسـونـ فـيـ جـامـعـاتـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ، وـلـدـيـ الـصـينـ مـاـ يـسـاويـ 1600ـ مـلـيـارـ دـوـلـارـ مـنـ سـنـدـاتـ الـخـزـينـةـ الـاـمـيـرـكـيـةـ.